ذكرى الإسراء والمعراج

● الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

نحن الآن في الأسبوع الأخير من شهر رجب، شهر الله الحرام[1]، وفي الأسبوع الأخير من رجب يتذكر المسلمون حادثاً جللاً من أحداث السيرة النبوية العاطرة، ذلكم هو حادث الإسراء والمعراج برسول الله ﷺ.

يتذكر المسلمون هذا الحادث، ويحتفون به في ليلة السابع والعشرين من هذا الشهر الكريم، وليس هناك قطع بأن الإسراء حدث في تلك الليلة، بل هناك خلاف كثير حول ميقات الإسراء: في أي ليلة كان؟ وفي أي شهر كانه؟ وفي أي سنة كان؟ وهل وقع مرة واحدة أو وقع أكثر من مرة[2]؟ إلى آخر ما بحثه العلماء المسلمون من وقائع السيرة وتواريخها، التي لم يضبطها الصحابة وتابعوهم بإحسان، فإنهم ما كانوا يهتمون إلا بما كان وراءه عمل.

---

(١) هو أحد الأشهر الأربعة الحرم التي عظمها الله في القرآن حين قال: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦]، وهذه الأشهر هي: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب (ثلاثة سرد وواحد فرد)، وسميت حرماً؛ لأنها معظمة محترمة، تتضاعف فيها الطاعات، ويحرم فيها القتال، وقد ورد استحباب الصيام فيها، وبخاصة المحرم، وللشيخ القرضاوي فتويان تخصان شهر رجب والصيام فيه، وما يذكره بعض الخطباء، ويتناقله الناس، من مبالغات وتهويلات في فضله، راجع فتاوى معاصرة: (١/ ٣٨٤ ـ ٣٨٦).

(٢) راجع في هذا كله ما كتبه الأستاذ المحقق محمد الصادق إبراهيم عرجون، في الجزء الثاني من كتابه الفذ: (محمد رسول الله ﷺ).

ما كان وراءه حلال أو حرام، أو شيء يوجب عليهم عملاً معيناً، فكانوا يبحثون عنه ويدققون فيه.

ولم يشرع في الإسراء والمعراج صيام نهار ولا قيام ليل، ولهذا حدث هذا الاختلاف.

ولكن المسلمين قد اشتهر بينهم في الأعصر الأخيرة، أن الإسراء والمعراج في ليلة السابع والعشرين من رجب، ونحن لا يهمنا: هل كان الإسراء في تلك الليلة أو لم يكن؟ إنما يهمنا الحادث نفسه.

الإسراء واقع بنص القرآن الكريم، سميت باسمه سورة من سوره، وافتتح الله بذكره هذه السورة حينما قال عز وجل: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: ١].

ومن هنا كان من كذب الإسراء، ولم يؤمن به، كافراً بإجماع المسلمين. لأنه كذب صريح القرآن المقطوع به، المجمع عليه، المعلوم من حياة نبي الله ﷺ بالضرورة.

أما المعراج فلم يذكر في القرآن إلا من باب الإشارة، وذلك في سورة (النجم)، حيث قال الله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾﴾ [النجم: ١ ـ ٨] الكلام عن جبريل الذي كان يأتي بالقرآن للنبي ﷺ: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [النجم: ٩ ـ ١٨]، رأى النبي ﷺ جبريل على صورته الملائكية مرتين: مرة في الأرض، وهي الرؤية الأولى التي كانت بالبطحاء والمشار إليها في قوله تعالى في سورة التكوير: ﴿وَلَقَدْ

رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴿٢٣﴾﴾ [الكهف: ٢٣] ، والرؤية الثانية هي التي عند سدرة المنتهى في ليلة المعراج هذه.

المعراج جاء في القرآن بهذه الإشارات في هذه الآيات، ولكن الإسراء جاء صريحاً، وجاءت أحاديث رسول الله ﷺ تثبت الإسراء والمعراج.

الإسراء: رحلة أرضية، بين المسجدين المباركين المقدسين: مسجد مكة، ومسجد القدس «من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى»، ربط الله بينهما بهذه الرحلة النبوية المباركة، الأول: هو بداية الإسراء، والثاني: هو نهايته.

أما المعراج: فهو رحلة تبتدىء من الأرض إلى السمٰوات العلى، إلى مستوى لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى، كما قال الشاعر:

حتى بلغت سماء لا يطار لها على جناح ولا يسعى على قدم

هناك بلغ مستوى لم يبلغه بشر قبله ﷺ.

كان الأنبياء في استقباله في كل سماء، كبار الأنبياء استقبلوه في الأرض، وصلوا خلفه ﷺ، ثم وزع الله أعاظم الأنبياء على السمٰوات، فكانوا يرحبون بمقدمه ﷺ.

كان هذا التكريم لرسول الله ﷺ بعد أن نال ما نال من إعراض الخلق، ومن إيذاء البشر.

أراد الله سبحانه وتعالى أن يسري عنه، وأن يعوضه، وأن يقيم له هذا الحفل التكريمي، في الأرض وفي السماء.

إن النبي ﷺ قد قاسى ما قاسى هو وأصحابه، عشر سنوات يعرض على القوم دعوته، يتلو عليهم القرآن، ويبلغهم الإسلام، ولكنهم استقبلوه بأشد ما يستقبل به نبي.

واشتد الأذى أكثر وأكثر بعد موت عمه أبي طالب، الذي كان ذائداً مدافعاً

عن النبي ﷺ، وبعد موت زوجه خديجة، كلاهما كان سنداً له، أبو طالب سنده في الخارج، وخديجة كانت سنده في الداخل، ماتا في أيام قريبة في عام واحد[1]، فسماه النبي ﷺ: (عام الحزن).

وأراد عليه الصلاة والسلام أن يجرب موقعاً جديداً، وأرضاً جديدة، فيها بذور دعوته، فقرر أن يتوجه إلى الطائف، إلى حيث تسكن قبيلة (ثقيف)، عسى أن يجد عند (ثقيف) ما لم يجد عند قومه من (قريش).

ذهب ومعه مولاه (زيد بن حارثة)، ولكنه لم يجد عند القوم إلا شراً مما وجد عند قريش.

استقبلوه أقبح استقبال، قال لهم منهم من قال: ألم يجد الله في جزيرة العرب غيرك حتى يرسله إلى الناس؟ وقال له آخر: إن كنت صادقاً فأنت أعظم من أن أكلمك، وإن كنت كاذباً فأنت أحقر من أن أكلمك، فلن أكلمك صادقاً ولا كاذباً! حتى مجرد الكلام معه حرموه منه، لم يريحوه بالكلام.

سلطوا عليه العبيد والسفهاء والصبيان، يرمونه بالحجارة، حتى أدموا عقبيه ﷺ، وسال دمه الشريف من عقبيه، ولم يجد بداً من أن يعود.

عاد ولكن الله سبحانه وتعالى لم يدعه، لقد عاد يشكو إلى ربه، يناجيه تلك المناجاة المعروفة الرقيقة الندية، التي يقول فيها لربه: «**اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتهجمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بي غضبك، أو يحل على سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا**

---

(١) قيل في العام العاشر من البعثة، قبل الهجرة بثلاث سنين.

قوة إلا بالله»[1].

لم يبال بغضب الناس إذا كان الله تعالى قد رضى عنه، ولكنه يسأل الله العفو والعافية.

هناك غضبت له الملائكة من فوق السموات العلى، وأرادوا أن يكونوا رهن إشارته ﷺ، إن شاء أن يطبق عليهم الجبلين، أو يخسف بهم الأرض، أو ينزل بهم ما نزل بالكفار من قبل، ولكنه ﷺ أبى ذلك كله، وقال: «**بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً**»[2].

وشاء الله سبحانه ألا تضيع رحلته سدى، فكان من أمره وهو عائد إلى مكة، أن جلس إلى حائط. . . . بستان، لأحد مشركي قريش، لعتبة بن ربيعة وأخيه شيبة، ابني ربيعة، من بني عبد شمس، وأحسّا به، فأرسلا إليه بقطف من العنب، مع غلام نصراني خادم عندهما فأخذ النبي ﷺ بعض العنب، وقال: بسم الله، فعجب الغلام أن يسمع هذا، وقال: هذا الكلام لا يقوله أهل هذه البلاد، فقال: من أي البلاد أنت؟ قال: من نينوى قال: من بلدة العبد الصالح (يونس بن متى)؟ قال: ومن أين لك العلم به؟ قال: هو نبي، وأنا نبي وعرض النبي ﷺ عليه الإسلام، وتلا عليه بعض القرآن، فأسلم الرجل.

كان هذا أول ثمار الرحلة.

وفي عودته أيضاً أرسل الله إليه نفراً من الجن يستمعون القرآن ﴿فَلَمَّا

---

(١) القصة التي رواها ابن إسحاق في السيرة عن محمد بن كعب القرظي مرسلاً بسند صحيح (٢/ ٦٠ ـ ٦٣) ط. دار إحياء التراث العربي، بتحقيق مصطفى السقا وآخرين، إلا الدعاء فذكره بغير سند، لكن رواه الطبراني في الكبير، وأورده الهيثمي في المجمع (١/ ٣٥) وقال: فيه ابن إسحاق مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات.

(٢) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب: (ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين) رقم (١٧٩٥).

حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ﴾[1] [الأحقاف: ٢٩] يقولون لهم: ﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٣١﴾ [الأحقاف: ٣١].

ثم كان هذا التكريم، كان الإسراء، وكان المعراج.

بعث الله أمين الوحي (جبريل) عليه السلام إلى محمد ﷺ، فغسل صدره بماء زمزم، وأخرج منه حظ الشيطان، وذهب به، راكباً البراق: دابة كأنها من البرق، كأنها شيء يتصل نسباً بالكهرباء، ركب هذه الدابة التي لا نعرف كنهها، من المسجد الحرام إلى القدس الشريف، فك الله أسره.

وأراه الله ما أراه، أراه أجزية وعقوبات لأناس كثيرين.

رأى رجالاً تقرض شفاههم بمقاريض من النار، فقال: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: الخطباء من أمتك، الذين يأمرون الناس بالبر، وينسون أنفسهم، وهم يتلون الكتاب، أفلا يعقلون؟[2]، ورأى عقوبة الذين يغتابون الناس، يخمشون وجوههم بأظافر من نحاس، ثم تعود كما كانت، ثم يخمشونها، وهكذا[3].

رأى ما رأى في طريقه، وفي مسيرته ﷺ، حتى وصل إلى بيت المقدس، وكان هناك الأنبياء ينتظرونه.

---

(١) ومطلع الآية: ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ...﴾.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه عن أنس (الإحسان: ٥٣) وذكر محققه أن له متابعات ترتقي به إلى الصحة، وانظر (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/ ٦٤٥ ـ ٦٤٦، الحديث ١٣٨٢).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٢٢٤)، ورواه أبو داود في الأدب (٤٨٧٨)، عن أنس بسند صحيح، وروى مرسلاً، ولكن السند أصح كما قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٣/ ١٤١)، وانظر (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/ ٧٤٣، الحديث ١٧١٠).

ثم من هناك صعد إلى السمٰوات العلى، إلى حيث ناجى ربه عز وجل، وفرض عليه الصلوات، كانت في أول أمرها خمسين صلاة، ولكنه بمشورة من أخيه موسى عليه السلام ظل يراجع ربه، فخففها من خمسين حتى بلغت خمساً، وقال الله تعالى: «ما يبدل القول لدى هي في العمل خمس وفي الأجر خمسون»[1].

كانت هذه بداية فرضية الصلوات، عمود الدين، التي هي الصلة اليومية بين الإنسان وربه، هي المعراج اليومي للمؤمنين.

إذا كان رسول الله ﷺ قد عرج به إلى السمٰوات العلى، فالصحيح أنه أسري به، وعرج به، بجسده وروحه معاً، ولا بعيد على قدرة الله عز وجل، إن البشر استطاعوا ـ بوسائلهم الخاصة، وبما علمهم الله ما لم يكونوا يعلمون ـ أن يطووا المسافات، ويختصروا الأزمان، ويصلوا إلى القمر، فكيف بصاحب القدرة التي لا تقهر؟! بمن لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض؟! لا نستبعد عليه أن يسري برسوله، وأن يعرج به إلى السمٰوات العلى، جسماً وروحاً[2].

عرج به حتى فرض الله عليه في السمٰوات هذه الصلوات، وكان هذا فضلاً لهذه الفريضة على غيرها من الفرائض والشعائر، فالفرائض كلها فرضت

---

(١) راجع حديث المعراج الذي رواه البخاري في كتاب الصلاة (باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء) رقم (٣٤٩)، ورواه مسلم في كتاب الإيمان (باب الإسراء برسول الله ﷺ رقم ١٦٢).

(٢) انظر تحقيق القول في هذه المسألة (الجزء الثاني) من كتاب الأستاذ (محمد الصادق إبراهيم عرجون) المشار إليه آنفاً، حيث أكد إجماع الصحابة ومن بعدهم من سلف العلماء، على أن الإسراء والمعراج كان بالنبي ﷺ وهو في أكمل حالات بشريته روحاً وجسداً، ومن أقوى الدلائل على ذلك: أن النبي ﷺ عندما أعلن ذلك بين قريش فتن بعض الذين أسلموا، وارتد من ارتد، ولو كان بالروح فقط، أو رؤيا رآها النبي لما كان في ذلك غرابة، فالإنسان العادي يرى في المنام ما لا يخطر ببال أحد.

في الأرض، وهذه الصلاة فرضت في السماء، دلالة على مكانتها في دين الله، دلالة على منزلتها، وأنها عماد الدين، من أقامها فقد أقام الإسلام، ومن هدمها فقد هدم هذا الدين.

الصلاة هي معراج كل مؤمن إلى ربه، تستطيع أن ترقى إلى الله يومياً بهذه الصلوات، التي تنتزعك من دنيا الناس، مما عليه يتصارع الناس، تنتزعك من دنيا الغفلة، من دنيا الصراع، إلى حيث تقف بين يدي ربك تناجيه، فتناجي قريباً غير بعيد، وتسأله، فتسأل كريماً غير بخيل، وتستعينه، فتستعين قوياً غير ضعيف، وكأنك تسمع له، وهو يقول في الحديث القدسي: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، إذا قال العبد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢] قال الله: حمدني عبدي، فإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [الفاتحة: ٣] قال: أثنى على عبدي، فإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٤] قال: مجدني عبدي، فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥] قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٦ ـ ٧] قال هذا لعبدي ولعبدي ما سأل»[1]، هناك تجاوب بين الله وبين عبده المصلي.

إن التحفة والهدية والذخيرة التي بقيت لنا من ذكرى الإسراء والمعراج، هي هذه الصلوات.

الصلوات التي نرى كثيراً من المسلمين يفرطون فيها، ويضيعونها ﴿... أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[2] [مريم: ٥٩].

---

(١) رواه مسلم، ومالك، وأحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وغيرهم (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/٤٢٦، الحديث ٨٠٣)، وقوله: «قسمت الصلاة» يعني القراءة أو الفاتحة، بدليل تفسيره بها، وقد تسمى القراءة صلاة، لكونها جزءاً من أجزائها.

(٢) الآية: ومطلعها: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ...﴾.

نرى من أبناء المسلمين، ممن يتسمى بأسماء المسلمين... بأسماء الأنبياء... بأسماء الصحابة، من اسمه محمد وأحمد، وعلي، وعمر، وحسن، وحسين، ومع هذا لا يعرفون المساجد، ولا ينحنون لله راكعين، ولا يعفرون الجباه لله ساجدين، أهذا من الإسلام في شيء.

الصلاة بقية الإسراء والمعراج.

وكذلك بقي لنا من الإسراء والمعراج شيء مهم: هو الربط بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى.

ربط الله بينهما في كتابه، في هذه الآية الكريمة، التي بدئت بها سورة الإسراء، وذلك حتى لا يفصل المسلم بين هذين المسجدين، ولا يفرط في واحد منهما، فإنه إذا فرط في أحدهما أوشك أن يفرط في الآخر.

إذا تركنا المسجد الأقصى تأخذه (اليهود)، ويعبث به (اليهود)، ويعمل على تهديمه (اليهود)، ليقيموا مكانه (هيكل سليمان)، إذا فرطنا في المسجد الأقصى، فلا يبعد أن نفرط يوماً في مسجد رسول الله ﷺ، أو في المسجد الحرام.

ولليهود أطماع في المدينة، حيث كان هناك: بنو قينقاع، وبنو قريظة، وبنو النضير.

لهم أطماع في مسجد رسول الله ﷺ ، ولا تستبعدوا شيئاً، كنا نستبعد ما وقع الآن حتى وقع، كل ما نراه الآن، كان عندنا قديماً شبه مستحيل، ولكن الأجيال التي تنشأ اليوم على ما تراه، أصبح هذا الأمر واقعاً عندها، لا تستبعدوا شيئاً إذا نحن غفلنا وفرطنا.

ربط الله بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى، حتى لا تهون عندنا حرمة المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، وإذا كان قد بارك حوله، فما بالكم بالمباركة له هو؟!

إذا كان ما حوله مباركاً، الأرض التي حوله كلها أرض مباركة، أرض النبوات. . . أرض الذكريات، وصفها الله في القرآن بالبركة في جملة مواضع، كما قال عز وجل في إبراهيم: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنبياء: ٧١] .

إنها أرض النبوات، الأرض التي رواها الصحابة والتابعون بدمائهم، وسقط فيها الشهداء، لا ينبغي للمسلمين أن يفرطوا فيها، أو يضيوعها.

مما نتعلمه من رحلة الإسراء والمعراج، أن الله قد ربط بين المسجدين: المسجد الحرام والمسجد الأقصى.

المسجد الأقصى أحد المساجد الثلاثة، التي لا تشد الرحال إلا إليها، كما جاء في الحديث الصحيح المتفق عليه: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ـ أي للصلاة فيها قصداً، كل المساجد بعد ذلك تتساوى ـ المسجد الحرام، ومسجدي هذا ـ أي مسجده ﷺ ـ والمسجد الأقصى»(١).

فعلينا أيها المسلمون: أن نتذكر قضية المسجد الأقصى ولا ننساها، لا ينبغي أن يصبح الأمر الواقع مفروضاً علينا، ونتقبل هذا بهزيمة نفسية منكرة، ويصبح اليهود سادة المسجد الأقصى، وسادة أرض النبوات.

إن علينا أن نجاهد، حتى نسترد هذا المسجد، حتى نسترد القدس الشريف، حتى نسترد الأرض التي بارك الله فيها للعالمين، وهي أرض الإسلام، وهي جزء من دار الإسلام، ووطن الإسلام، لا يجوز لأحد أن يفرط فيه، أو يبيعه، أو يخونه.

حتى لو أن الفلسطينيين أنفسهم تخلوا عن هذا الوطن الإسلامي، عن هذه

---

(١) حديث صحيح، رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه عن أبي هريرة، ورواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، وابن ماجه عن أبي سعيد، ورواه ابن ماجه عن ابن عمرو (الجامع الصغير للسيوطي ٢/ ٢٠١).

الأرض المقدسة، لوجبَ على المسلمين أن يدافعوا عنها؛ لأن هذه الأرض الطيبة المباركة، ليست أرض الفلسطينيين وحدهم، ولا أرض الأردنيين وحدهم، ولا أرض العرب وحدهم، ولا أرض المسلمين المعاصرين وحدهم بل هي أرض الإسلام، أرض الأمة الإسلامية في مختلف أجيالها.

فلو أن هذا الجيل فرط، أو ضيع، أوخان، فإن الأجيال التالية ستلعنه، وستحاول أن تتدارك ما فات، ولا بد أن يأتي يوم يقاتل المسلمون فيه، عن إيمان ويقين.

لا بد من يوم تقع فيه المعركة مع اليهود، يكون فيها النصر المؤزر للإسلام، هذا ما جاء في الصحيح عن النبي ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبىء اليهود من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله، إلا الغرقد، فإنه من شجر اليهود»[1].

وإنا لهذا اليوم لمنتظرون، وما ذلك على الله بعزيز ﴿... فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝٥ وَعْدَ اللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ [الروم: ٤ ـ ٦].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

---

(١) حديث قتال المسلمين اليهود رواه البخاري في كتاب الجهاد، ورواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة وهذا لفظه، وقد روياه عن أبي هريرة وابن عمر من أكثر من طريق، وقد أوضح الشيخ القرضاوي ـ في فتوى له ـ ما تضمنه هذا الحديث من معانٍ، وأجاب عن بعض التساؤلات التي تثار حوله، انظر (فتاوى معاصرة: ٢/٦٨ ـ ٧٢).

● الخطبة الثانية:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

هناك فتاتان من الفلبين أسلمتا، وهما تصليان معنا الآن عند الأخوات، أرجو من الأخوات المصليات أن يبادرن بمصافحتهما والسلام عليهما، وإشعارهما بروح الأخوة الإسلامية. وأن واجباً علينا نحن المسلمين، أن نعمل على أن يدخل هؤلاء الذين يعملون في دورنا وبيوتنا إلى الإسلام.

كان الأولى أن نستقدم المسلمين والمسلمات، فهم أولى، كما جاء في حديث النبي ﷺ: **«لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي»**[1].

أما وقد أصبح مئات وآلاف من هؤلاء في بيوت المسلمين، فعلى المسلمين أن يبلغوهم دعوة الإسلام، عليهم أن يعرضوا عليهم هذا الدين، فقد يجدون كثيراً من الاستجابة.

كثير من هؤلاء ليسوا على دين حقيقي، بل هو دين وراثي، إذا وجدوا من يشرح لهم الإسلام شرحاً مبسطاً ميسراً، يعرفهم حقيقة هذا الدين، دون تكلف أو تعمق، العقيدة الإسلامية الواضحة، عقيدة التوحيد، الشعائر الإسلامية الميسرة، الأخلاق الإسلامية، الأخوة الإسلامية، هذه كلها ينبغي أن تعرض على هؤلاء قولاً وفعلاً، فعسى أن نجد منهم من يستجيب و«لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم»[2] «... خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت»[3] ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى

---

(١) حديث صحيح، رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، ابن حبان، والحاكم، عن أبي سعيد (الجامع الصغير ٢/ ٢٠١).

(٢) أخرجه البخاري عن سهل بن سعد في (كتاب فضائل الصحابة) باب: مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، و(حمر النعم) هي الإبل الحمراء اللون، وكان العرب يعتبرونها من أنفس الأموال.

(٣) رواه الطبراني في الكبير عن أبي رافع، وحسنه السيوطي في (الجامع الصغير ٢/ ١٢٢):

مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣] .

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، اللهم اعل بنا كلمة الإسلام، وارفع بنا راية القرآن، وانصرنا على أعدائك أعداء الدين، اللهم انصرنا على اليهود، اللهم انصرنا على الصليبيين، اللهم انصرنا على الشيوعيين، اللهم انصرنا على الملاحدة والمنافقين، اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الدين، اللهم خذهم ومن ناصرهم أخذ عزيز مقتدر ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] .

عباد الله: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦] اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ونبيك ورسولك محمد، وعلى آله وصحابته والتابعين.

﴿. . . وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥] .

= ونصه كاملاً: «لأن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت».